فلاح ومن جُنْد المَهَابة دونه   وقاءٌ ومن حفظ الإلاه سرادق
تنام عيونُ الرُّومِ عنه وإنَّما   تنامُ وسعدُ للخليفة طارق
تنومهم بيضُ الخدود نواعمٌ   وتُوقظُهمْ سُمْرُ القنى والسُّوابِقُ
كأنَّ بهم والسيف يأكل وفرَهُم   وما جمعوا للنائبات مُعارق
فما ولَدوا للمسلمين غنائمٌ!   وما جمعوا للنائبات[1] طوالِق
ولا زال أمر الله للدّين هادياً   وأنت لدينِ الكفر ماحٍ وماحقُ

وقال الأستاذ أبو العباس أحمد بن سيِّد [36] الأشبيلي الشاعر[2] - عرف باللص - يمدح الأمير الكريم ويهنئه بهزيمة العرب المذكورين: (بسيط)

صعْد بعكرك بَعدها أو صوّب   ما دُون أمْر الله مِنْ مترقَّب
الشَّمْسُ تحجبُ في الطُّلوع وبعده   واذا تطلع نورُها لم تُحْجَب
هذي الخلافة لا خلافة بعدها   جاءت على الهدي القويم الأوجب
أحْنى على مَن حاد من صَرْف الرَّدى!   أحنى على من هادَ من عَطْف الأب!
أضْحَى به السَّرحان رَاعِيَ ثُلَّةٍ   أمْناً وبات الصَّقْرُ ضَيْفَ الثَّعْلَب!
عصمتْ بأقصَى الشَّرق منه عزمةٌ   حُتّ لشرْواهَا بأقصَى المَغرِب!
يا طيبَها معنىً وطيبَ حديثها   والنَّفسُ يلهَجُ بالحديثِ الطيِّب!
فأتتْ على ثَبَجِ الضَّلالَ كما أتى   ضَوْءُ الصَّباح على سَواد الغَيْهَب
ومضتْ على حدِّ الحُسَام أعَارِبُ   نَكَثوا عُهُوداً أُبرِمَتْ في يَعْرُب
لما حداهم للجهاد مُشَمِّرٌ   ذهَبُوا من التأويل أخبث مذْهَب
فكأنما ألقى الكتابُ إليهم   «أنَّ الجِهاد عليهم لم يُكتَب!»
ورأوا عماماً لم يشكُوا صلةً   في أنَّ مسراها لبرق خُلَّب
عطْلى على أبْصارهم قدرُ الرَّدَى   فاستنْزَرُوها وهي ملْءُ السَّبْسَب
والمَرْءُ يطمعَ ما دَنَتْ   مِنْهُ ويُؤيِسُه بعيدُ المطلب!
ولربَّما حسبَ الفتى أطماعه   بالتُّرب وهي منوطة بالكَوْكَب!

(1) هنا فضاء، ولعل محله حرف التاء. هذا وقد كتب في الطره ما يأتي: (وديل له)؟
(2) راجع التعليق رقم 1 صفحة 99

ولو أنَّ غدرهُم لذُلَّ بالَهُمْ   مِنْهُ لكان الغَدْرُ صعْبَ المركب
لكنَّه ارقاهُم من عزَّةٍ   أعْلى المراقي في الجَناب الأقْرَب!
[37] نَدَرُوا مطوع كالحيافي طيِّه   حلف كذاكي برْقه المتلهِّب
كالرُّوص إلاَّ أنَّ عي أخشائه   أفْعَى اليباب استجمعتْ لتوثّب!
أوْلى لَهُم من بطشةٍ قيْسيَةٍ   أخذ البريءُ بها بذنب المُذنب
قدْ كان في أولى الوقائع زاجرٌ   فيهم لذي القلب الذكي العُلَّب
لِمْ لا؟ وما ذكرتْ رياحُ يَومَها   إلا أراما الطفلَ مثلَ الأشْيَب
هَلاَّ اقتدَوا بسَراة قيْسٍ إنَّها   حازَتْ بمسبهما كريمَ المنصِب
ترْضى إذا رَضِيَ الخليفة دائماً   وكَذاك إن يغضب لحقٍّ تغضَب
وربيعةٍ[1] وكفائها من رغبةٍ[2]   أهْل المعالي في الجناب الأقْرَب
من كلِّ أزهر للحياءِ بوجْهه   في السِّلْم رقراق اللُّجين المذهب
يرتاحُ للموْتِ ارتياحَ قَناته   للطعن أو صمْصامه للمضرب
مرحٌ بمعترك الهياج كأنَّه   في ضنْكه متقلب في ملْعب
أبداً يَهيم من الظبا بأزاهِر   ومن الجياد بكلِّ ثغْر أشنب
تتوهَّم الكفار وقْعَ سلاحهم   فتهمٌّ عن أوطارهم بتغرُّبٌ
وتحدَّثُ المران عن عَزَماتِهمْ   فتظلُّ تحنِي فوقها بالأثلب
ضَرَبُوا القداح على النِّفاق ضلالةً   فإذا بهمْ ظفرُوا بقِدْحِ أخْيَب
لا أيْنَ يا آلِ الصَّليب وحزْبَه   حتَّى يعم القتْلُ كلَّ مُصلِّب
ويورِّث التوحيد عرْض بلادكم   من بعْد بحثْ عنكم وتنقّب!

ومنها بعض أبيات.

حتَّى تقر عيونُنا في أرْضنا   وتقر عين نبيِّنا في يثْرِب

(1) ربيعة من القبائل العربية التي كانت محلاتهم بالصعيد. ابن خلدون، العبر، مجلد سادس ص 30
(2) تعتبر رغبة في أول القبائل العربية التي تتقدم في التشريفات الموحدية عند حفلات التمييز التي تجرى بين الجيش والأحرار عند العرب، وذلك لأنها أول القبائل التي اتبعت مذهب الإمام المهدي، انظر صفحة 296 من (المن بالإمامة) ابن خلدون 6 صفحة 30

[38] حدثني الأستاذ أبو القاسم بن أبي هرون[1] قال: كنت واحداً من جميع الوفد الذين بادروا بقصدهم ووفدهم مع أهل إشبيلية ومن كان تحت طاعة التوحيد من أهل الأندلس إلى أمير المؤمنين رضي الله عنه بجبل طارق وأقمنا معه نحو عشرين يوماً، أمر للناس الوافدين في مدة هذه الأيام، ثلاث مرات بالبركة، ونال جميع الناس معه الإنعام الذي عوده وسلكه وأجاز الشعراء[2]. وأنال خيراته الفقهاء والكبراء، والموحدين والأولياء الطهراء، وأقام الوفد المذكور تحت أنعامه إلى أن عيد الخليفة رضي الله عنه عيد الأضحى بالجبل السعيد على أوفى الظهور، وأذن للناس بالانصراف إلى أوطانهم وقد رأوا الآمال بالتبرك به في زمانهم، وكذلك أنال الفَعَلَة والبنّائين والصناع بركات وخيرات حين استحسن ما صنعوه ووضعوه، وجاءوا فيه على الغرض الذي نفذ به الأمر المطاع بالوصف الذي سمعوه، واستقر في أفهامهم فانطبعوا في بنائه واطبعوا له، وشاءوا في ذلك بناء الخورنق[3] والسدير[4] وأبدوه للناظر كالبدر المنير فحسن لهم جهة الأمر العالي ما وفقوا فيه من البناء وحسْن التدبير.

(1) أحد رواة ابن صاحب الصلاة، ولم نعثر له على ترجمة فيما بين أيدينا من معاجم الأدباء الموحدين ولم نتمكن من معرفة شيء عنه من خلال كتاب المن بالامامة نفسها ولم يذكر غير هذه المرة. هذا وقد ذكر ابن عبد الملك في الذيل والتكملة ان ابن صاحب الصلاة روى عن أبي بكر بن هرون، فهل يوجد لابن هرون كنيتان أم أن الرواية كانت عن هذا وذاك ام أن الكنية المذكورة في الذيل خطأ؟ الذيل مخطوط خزانة الرباط 16-2646.

(2) بالإضافة إلى أبي بكر بن المنخل الشلبي، وأبي العباس بن سيد الاشبيلي، والقرشي الطليق، وأبي الحسين بن صاحب الصلاة. بالإضافة إلى هؤلاء أنشد في ندوة جبل طارق الشاعر محمد بن حبوس الفاسي، وأبو عبد الله الرصافي شاعر الأندلس، وأبو جعفر بن سعيد العنسي وأبو العباس الجراوي صاحب الحماسة المغربية في أغلب ظننا. المراكشي، المعجب ص 213 ـ ص - 217 218 - 219 ابن عذاري. البيان المغرب ص 25 - 26. ابن الخطيب، اعمال الاعلام ص - 166 267 - 268 الحلل الموشية ص 130. ابن بطوطة، المجلد الرابع ص 361 ـ أحمد بلافريج، عبد الجليل خليفة. الأدب الأندلسي ص 178.

(3) الخورنق ذكر كثيراً في اشعار العرب وضربت به الأمثال في الأخبار، وهو قصر كان بظاهر الحيرة وقد قيل أن الذي أمر ببناء الخورنق هو النعمان، وإن الذي بناه له رجل من الروم يقال له سنمار وهو الذي أثر عقابه من قبل النعمان على أثر إنهاء البناء في أسطورة معروفة المعجم، المجلد الثاني 401-402-403

(4) السدير: يذكر بعض الرواة أن السدير قصر قريب من الخورنق كان النعمان الأكبر اتخذه لبعض =

(صد سرية وردت لتطلع أخبار الموحدين)

وفي خلال هذه الإقامة المؤيّدة طرأ فتح في الكفرة بأن وصلت من جهة جيان سرية من النصارى لتطلع الأخبار، فخرج الأمر العزيز باتباعهم فأدركهم [39] الموحدون أنجدهم الله فغزوهم وسبوهم ووصل الفتح فيهم، فزادت الخيرات والمسرّات والحمد لله. وقضيت مسائل الناس وحوائجهم ومآربهم ومطالبهم وأنصف المظلوم من الظالم. ووعدوا بالنظر العميم في نصرهم على الأعاجم.

وبعد هذا كان انصراف سيدنا أمير المؤمنين رضي الله عنه في أول عام ستة وخمسين وخمس مائة وأجاز البحر[1] منصرفاً إلى حضرة مراكش حرسها الله. ونظر إلى الأندلس بتجهيز العساكر بما أذكره بعد[2] هذا في موضعه إن شاء الله تعالى. وابتدع فيها أمير المؤمنين رضي الله عنه سنة ست وخمسين المذكورة متوفراً على تمهيد أمره العزيز وسلطانه، وتألّف العرب الذين جلبهم[3]

= ملوك العجم وقد ذكره الأسود بن يعفر بقوله:

أهل الخورنق والسدير وبارق … والقصر ذي الشرفات من سنداد

وذكره عبد المسيح بن عمرو عند غلبة خالد بن الوليد على الحيرة في خلافة أبي بكر الصديق

أبعد المنذرين أرى سواماً … تروّح بالخورنق والسدير

الأبيات، انظر التعليق رقم 2 صفحة 87 المعجم ثالث ص 201 - 202 هذا ويوجد في الجهة العربية الجنوبية من مدينة كربلا بعيداً عنها بنحو 55 كلم قصر تاريخي يحمل اسم «الاخيضر» ربما كان هو «السدير» أنظر كتاب الاخيضر، مطبعة الحكومة بغداد صفحة 40 وقد وقف عليه لكن هناك من يرى أن فيه ليست ساسانية، وإنما هي عربية

(1) يتأثر ابن عذاري هنا بذكر موقعة فحص بلقون التي حقق فيها الموحدون انتصاراً عظيماً، وقد أنشد أبو العباس الجراوي في هذه المناسبة رائية بديعة يقول في مطلعها

أعليت دين الواحد القهار … بالمشرفية والقنا الخطّار

البيان المغرب ص 25-26-27

(2) ابتداء من ص 45

(3) يلوح من النص أن عبد المؤمن كان أول من عمل على جلب العرب من افريقية، وقد اقتفى أثره ولده أبو يعقوب يوسف كما سنرى في صفحة 259، هذا وقد أثر عن يعقوب المنصور ولد يوسف وحفيد عبد المؤمن انه أدخل العرب للمغرب وأنه ندم على ذلك، ومن المهم أن نعرف أن هناك فرقاً بين تصرف عبد المؤمن وولده من جهة، وتصرف الحفيد يعقوب المنصور من جهة أخرى، =

لحماية[3] رعيته وأن يكونوا من جملة أجناده وأعوانه، لما أمله من غزو الكفر وكسر صلبانه.

رجع الخبر الى ذكر عبد السلام [1] ووفاته

ذكر ما دار من الأوامر العلية في هذه الغزوة المنصورة، غزوة المهدية وفتح افريقية وأخبار عبد السلام في وزارته الى حين الايقاع به فيها وميتته.

قال الراوية الثقة: لمّا خرج أميرُ المؤمنين رضي الله عنه من حضرته مراكش الى غزوته [40] الحافلة المؤيدة غزْوة المهدية، كان خروجُه في أول شهر شوال من عام ثلاثة وخمسين وخمس مائة على ما ذكرته[2] واستوزر عبد السلام بن محمد الكومي ووصل إلى سلى [3] برباط الفتح[4] بها، وجّه منها

= فالأولان كان حلفهما للقرب تقرباً وتألفاً سيما كان عمل الثالث سنة 584 بدافع إرادة تغريبهم وعقابهم وذلك لما ضربوه من الخلف وناصروا علي بن إسحاق بن يوسف المعروف بابن غانية أحد أعيان الملثمين الذين كانوا ملوك المغرب والذي كان عميلاً لقراقوش مولى تقي الدين عمر ابن أخ صلاح الدين الأيوبي، فعرق إذن بين الحالين. الناصري، الاستقصاء ج 1 ص 151 - 150، ابن أبي زرع، القرطاس، طبعة فاس، ص 164. ابن القاضي: جذوة الاقتباس طبعة فاس ص 349، محمد بن عبد السلام السائح: العض المهصور (مخطوط) ورقة 13 - 14. محمد الرشيد ملين: عصر المنصور الموحدي، المطبعة المحمدية، الرباط 1946 ث 242. إقرأ ص 273 وص 67 من التذكار لابن غلبون، وانظر أيضاً الفاشوش في أخبار قراقوش للسيوطي.

(1) يعني به الوزير المقرب عبد السلام الكومي وسنقف على ترجمة له وافية، وانظر مع هذا البيذق، أخبار المهدي ص 147. الاستقصاء ج 2 ص 125

(2) يعني دون شك في السفر الأول من كتاب المن بالإمامة

(3) سلى: يذكر ابو القاسم الزياني في الترجمانة الكبرى أن أول بناه بناه البربر لما دخلوا المغرب مدينة سلا، ويذكر صاحب الاستبصار أن الذي اتخذها مدينةً هم أرباب البلد العشريون، وقد كانت تحتوي - في جملة ما تحتوي عليه - قصراً بديعاً يعرف بدار ابن عشرة بناه أبو العباس أحمد بن القاسم من بني عشرة، وتقع سلا هذه على شاطىء المحيط الأطلسي يفصلها عن رباط الفتح الوادي الذي يصب في المحيط. البيذق 66. الادريسي 72. الاستبصار ص 149. الروض المعطار ص 197 - 198. ياقوت معجم البلدان. بوجندار: تاريخ رباط الفتح، طبعة الرباط 1345 هجرية ص 18 - 19. السائح: العض المهصور (مخطوط)

(4) رباط الفتح أو (المهدية) كما يسمى في العصر الموحدي: يقع على شاطىء المحيط وقد كان في =

عبد السلام المذكور في قطعة من قطع البحر إلى جزيرة الأندلس ليتطلع أحوالها في أقرب مدة فوصل إلى إشبيلية ثم إلى قرطبة ثم إلى غرناطة وتطلع أحوال الأندلس كلها وأنهى إلى الطلبة الذين فيها الأوامر العزيزة التي حملها، وانصرف إلى أمير المؤمنين بسلى في خمسة عشر يوماً غاب عنه

فلما تحرك أمير المؤمنين رضي الله عنه أثر ذلك الى غزوته على ما قدمته ووصل الى مدينة تلمسان أمر ابنه السيد الأعلى أبا حفص أن يصحبه في غزاته وكان والياً عليها فامتثل ذلك.

ولما وصل أيضاً إلى مدينة بجاية كان ابنُه السيد الأجل أبو محمد عبدالله والياً عليها فأمره أيضاً بصحبته والمشي في الغزاة المذكورة ومشيا مع أبيهما في العساكر المنصورة وتغلب عبد السلام على الحال كلّها في هذه الغزاة وطال السّادات وضايقهُم ونسب إليهم عند أبيهم قبائح الأفعال، من الراحات والبطالات بالنهار وطول الليال، وقد كان قديماً قبل هذه الحركة المنصورة يقصر بهم ويُسيء العشرة معهم فرفع الى أمير المؤمنين رضي الله عنه أنهم يشرّبون الخمر [41] المحرمة وقرر ذلك وكرّر المطالبة لهم هنالك، فتأثر الخليفة لقوله وبحث عليهم وبعث شيوخ الموحدين الثقات اليهم ودخلوا موضعهم ومجتمعهم عليهم دون إذن ولا مشورة فوجدوهم يأكلون طعاماً وبين يديهم مشروب مطبوخ من الرُّب[1] الحلال الذي لا مرية فيه ولا ريبة

= القديم يتكوّن من برج للسكنى وكل ما حواليه أرض حرائية، وكان هذا البرج متملكاً لثلاثة بعضه لأهل سلا أخي بني العشرة وبعضه لابن رجاد من أهل إشبيلية، وجانب للمخزن فاشتراه الخلفاء من أربابه وخلص لهم، وهكذا لما وصل الخليفة إلى سلا سنة 545 بنى القصبة الحصينة المعروفة الى الآن على فم النحر، وأجرى لها الماء من عين غبولة بواسطة المهندسين. الاستبصار ص 140 - 141.

Jean Léon L'africain

Description de L afrique 1956 page 164 - 165 .

راجع صفحة 305 - 306 من ابن صاحب الصلاة والتعليقات التي تمس تأسيس (المهدية)

(1) الرُّب - كما في لسان العرب -: الطبخ الخاثر من عصير العنب، وقد وقفت في زحر مخطوط بوجد =

فرجعوا إلى أمير المؤمنين وشهدوا عنده بالحال، وزوّروا عنده كلام كل مطالب وحيلة كل محتال، فتيقن أمير المؤمنين رضي الله عنه مطالبته لهم، ولم يُظهر له شيئاً مما به نحلهم، فلما نازل أمير المؤمنين رضي الله عنه المهدية وأقام عليها المدة الطايلة المذكورة وخاطبه أهل مدينة قابس[1] بالتوحيد بعث عبد السلام المذكور من المحلة بعسكر ضخم من الموحدين أعزهم الله مقدماً عليهم مع حملة طلبة وحفاظ، فلما وصلوا على ثمانية أميال من قابس، بادر أهلها مع قاضيهم بالخروج، الى الموحدين وتلقيهم بالطاعة، والتزام أمر الدين والجماعة[2]، فأعملوا السير في الحين الى المدينة المذكورة فانهزم من

= تمكنه جامعة غرناطة تقع في نحو 1333 بيت من نظم أبي عثمان ابن الشيخ ابي جعفر بن ليون التجيبي على كيفية عمل الرُّب، وهو يقول:

« الرُّب طبخ صفو ماء العنب	يعقد فعود نفعه المحتسب
لمثلث في الطيب، أو للربع	في العنب الرديء ذا الساقي رع
واطبخه مع ماء سواد وثُفال	رغوته مدة طبخه اتصال »

وهذا المخطوط تعمل الآن الدكتورة إكوازاس Iguaras على نشره وقد أوقفتني - مشكورةً - على نصوصه الأصلية وقد ذكر لي أن اسم (الرُّب) معروف الى الآن في إسبانيا لنوع من المشروبات Arrope، وقد كان شربه معهوداً - أول الأمر - لشدة برد الجبل وثلجه كما ترى لكن الموحدين لم يلبثوا أن انتبهوا الى أن مفعوله، لا يختلف عن مفعول الخمر الحرام فأصدروا الأوامر بمنعه، وهكذا فبعد أن كان الرُّب يقدم في الاحتفالات الرسمية وبعد أن كان يباع بمكان خاص بمدينة مراكش (باب الرُّب) بعد ذلك صُودر في سائر أطراف المملكة سنة 580 ورجع الناس إلى مبدأ ابن تومرت. الاستبصار ص 211، برونشفيك: رسائل موحدية، الرسالة 28 صفحة 164 الاستقصاء ثاني ص 188 ابن إبراهيم، تاريخ مراكش أول، 109.

Allain et Deverden

Les portes anciennes de Marrakche Hespers T. 44 1957 page 121 - 123

(1) قابس: مدينة كبيرة قديمة أزلية تقع غربي جزيرة جربة جنوب صفاقس وقد كان عليها سور من صخر من بناء الأوائل، وقد أحاط بها خندق كبير يجرون اليه الماء إذا خافوا من نزول عدو اليهم، وهي كثيرة الموز والتوت. الاستبصار ص 112 ياقوت معجم البلدان.

(2) قال عبد الله التجاني:

« فارتحل (عبد المؤمن) إلى تونس، وكان نزوله عليها يوم السبت العاشر من جمادي الأولى من السنة المذكورة (سنة 554 هـ / موافق 1159 م) واتصلت الأخبية من الحنايا إلى حلق الوادي، =

كان في جوانبها من العرب[1] القاطنين بها وقُتلوا واستؤصلوا على ما تقدم الشرح به في هذا التاريخ بالرسالة الواصلة[2] من سيّدنا أمير المؤمنين في وصف هذا الفتح. واستبدّ عبد السلام بجميع الغنائم والأموال، وتقبل ما شاء من الأنفال، ولم يعلم بما فتح الله من الآمال، وأدل [42] بقرابته ووزارته غاية الإدلال، فنسب إليه في الأموال الاحتجان، والإنكار والكتمان

وفي مدة مغيبه عن المجلس المذكور تكلم أشياخ الموحدين الناصحون لهذا الأمر العزيز بعضهم مع بعض في حال عبد السلام المذكور واستعلائه عليهم وتقصيره بأولاد أمير المؤمنين السادة ومطالبته لهم وتشكى السادة الى الأشياخ بحالهم وبما دهوا به من عبد السلام من الاذاية، فقال لهم الشيخ أبو محمد بن ريحن[3] وكان من أهل الرأي والدهاء والعقل والفضل: « الذي أرى من

= وعاين أهل تونس أمراً عظيماً، وأيقنوا بالهلاك، وأقام العسكر ثلاثة أيام لا يقاتلون، فنزل إلى عبد المؤمن أشياخ لطلب السلم من أهل تونس، منهم بنو عبد السيد: عمر ومعاوية، وعبد السيد، ومنهم أبنا منصور بن إسماعيل وابن عمه عتيق، ومنهم الخارجي محمد، وحمزة بن حمزة، وعبد العزيز القمودي وغيرهم، وكانوا اثني عشر رجلاً، فوصلوا الى عبد المؤمن فطلبوا العفو منه، فأسعفوا به، بعد مكابدة شديدة وامتناع عظيم من عبد المؤمن » الخ (من رحلة التجاني، طبع تونس (المطبعة الرسمية) سنة1377 - 1958 ص 345) ويذكر من جملة الذين وردوا على عبد المؤمن من طرابلس الغرب الشيخ ابن مطروح سفيراً عن المدينة. أنظر رحلة الحشائشي المسماة جلاء الكرب عن طرابلس الغرب، ص 36.

(1) يحكي ابن عذاري هنا انه لدى سنة 554 ظهر على العرب من بني سُليم المعتدين على مدينة قابس ما أوجب استدعاءهم، وأن عبد المؤمن خاطبهم بشعر طويل للقاضي أبي عمران منه قوله:

أسُليمُ دعوة ذي أخاء مرشد	هاد إلى الحق المُبين المسعد

كما خاطبهم بشعر ثان لابن طُفيل إلا أنه لم يثبت منه شيئاً. ابن عذاري، الثاني ص 21

(2) لم يبق ابن صاحب الصلاة - كما سلف - نص الرسالة وإنما اكتفى بوصف بعض العناصر فيها (أنظر صفحة 5) وليس من شك في أن يكون السفر الأول قد تضمن الحديث كذلك عن فتح افريقية كما يؤخذ من ابن عذاري الذي أخذ ينقل عن ابن صاحب الصلاة منذ أحداث سنة 534، البيان المغرب ص 2.

(3) يظهر من سياق الكلام أن للشيخ أبي محمد هذا مركزاً هاماً في البلاط الموحدي غير أننا لم نعثر على ذكر له بعد هذا، وربما كان الاسم (بريحن) أو (بن ريكن)، وهما اسمان وردا في بعض =

الرأي والنصيحة لله وللخليفة أن نتكلم اليه بجميعنا معشر الموحدين والطلبة ، وأن يجعل بيننا وبينه من يوصل اليه كلامنا من بيننا واحداً ، فقبلوا رأيه واجتمعوا وتكلّموا إلى أمير المؤمنين رضي الله عنه في أن يكون ابنُ السيد أبو حفص الذي يوصل كلامهم اليه فأجابهم الى ذلك ، ووزر السيد الأعلى أبو حفص في ذلك اليوم ، وقال أمير المؤمنين رضي الله عنه لأشياخ الموحدين أعزهم الله ولجميع طلبة الحضر : إن الله تبارك وتعالى يقول على لسان نبيه موسى ﴿ واجعل لي وزيراً من أهلي هرون أخي أشدد به أزري وأشرِكه في أمري ﴾ فاستبشر الموحدون أعزهم الله بالأمر الذي أمر ، وكمل لهم الرأي الذي دبر .

فلما انصرف عبد السلام من الحركة المذكورة [43] وفتح الله المهدية، ورحل أمير المؤمنين عنها الى إفريقية وفتحها وهزم العرب واستقاهم على ما ذكر ، كان عبد السلام يماشي على ظهر من حاله فلما انصرف أمير المؤمنين رضي الله عنه ، ووصل مدينة تلمسان ، تشكى أهل العدوة بعمال عبد السلام من حملهم على الرعية وظلمهم وتعديهم ، ومن كومية[1] أصحابه ووصفهم باحتجان الأموال والخيانة للأمر في جميع الأعمال ، وأطنبوا في التشكيّ بالتبكي وأضافوا ذلك الى الرضى من عبد السلام بجورهم[2] فأمر أمير المؤمنين بجمع المشتكين وحضور أشياخ

* المراجع الموحدية : ابن الزيات ، التشوف الى رجال التصوف نشر الأستاذ أدولف فور طبعة الرباط 1958 ، ص 434 ، ابن خلدون : العبر ، المجلد السادس ص 710

(1) كومية : معلوم أن البربر جذعان عظيمان : البرانس والبتر ، وأن كلا منهما تتفرع عنه قبائل فمن القبائل التي تتفرع عن البتر قبيلة ضريسة أو صريسة ، وتضم فرقتين بني فاتن ، وبني يحيى ، فمن بطون بني فاتن مضغاطة ومطغورة ، وتضم كومية ومغيلة الخ فكومية إذن إحدى بطون بني فاتن من البرابرة البتر . ابن خلدون ، سادس 176 - 178 - الاستقصا أول 64 - 65 -

(2) كان عبد المؤمن ـ ونبوه كذلك ـ يمقت كل المقت طغيان الولاة ، ولذلك فقد كان يفسح بأسماعه لكل شكوى تجنباً لكمون البغضاء والحقد . ابن عذارى 125 ، تاريخ الأندلس ، ترجمة الأستاذ عنان ص 304 .

محمد المرير : المحاكم الإسلامية طبعة تطوان 1952 ص 35 -

الموحدين وطلبة الحضر والقاضي لسماع أقوالهم ، وتبيين تشكيهم بما كلفوا من حمل أثقالهم ، فبينوا وقالوا وأطنبوا ، ووصل كلامهم الى أمير المؤمنين على أبيَن التوصل والتفصيل فتغيّر وتأثر وقال : « عجباً من هذا الأمر وسعته ، وعدم المال عند مأمنه ، كانت لمتونة[1] إنما يملكون الى تلمسان هذه وكانوا يصفون أجنادهم ونحن الآن قد ملكنا ذلك وزائداً على ما كان بأيديهم : إفريقية كلها ولا عندنا ما نُعطي للموحدين ، هذا من عجب العجب » وعبد السلام واقفٌ يسمع . فقال له عبد الحق بن واتودين[2] وأخوه تميم بن واتودين[3] : يا أمير المؤمنين : ذلك لتضييع المخازن والذي قال أمير المؤمنين . والذي يكرر هذه الكلمة ، قالا : نعم فقام أمير المؤمنين من مجلسه مغضباً ليدخل [44] موضع مقره ، فبادر عبد السلام بتقديم نعله ، فتركها أمير المؤمنين ولم يلبسها ومشى حافياً إلى موضعه .

قال الشيخ أبو يحيى زكريا بن سنان[4] حدثني الشيخ أبو عبد الله محمد[5] بن يوسف بن واتودين قال : كان عبد السلام من بعض أصحابي

(1) لمتونة : من القبائل التي تفرع عن البرانس صنهاجةُ التي تصل بطونها الى نحو السبعين منهم لمتونة وكدالة ومسوفة ، وقد كانت لهم دولتان عظيمتان الزيريون بأفريقية والملثمون بالجزائر والمغرب وبلاد السودان ، وقد كان موطنهم الأول بالصحراء وسط مملكتهم أعني بين بلاد البربر وبلاد السودان ، وقد أسلموا بعد فتح الأندلس ثم كانت لهم صلة وثيقة بأراضي السودان دشنت منذ الأيام الأولى ببعثة عبد الله بن ياسين الاستبصار ص 213 ، ابن خلدون سادس 176 - 177 ، الاستقصاء ثان 66 .

(2) هذا من أصحاب المهدي المتدركين بعد التمييز وهو أبو محمد عبد الحق بن واتودين الهنتاتي ويظهر أن له صلة بسليمان بن واتودين والي تلمسان . البيذق : أخبار المهدي ص 33-34-35 الاستقصاء ثان ص 95 . محمد المختار السوسي : سوس العالمة ص 20 .

(3) هو الشيخ أبو الطاهر تميم بن واتودين من أصحاب المهدي كذلك . المصادر السابقة .

(4) أحد الرواة الحفاظ الذين تردد ذكرهم عند ابن صاحب الصلاة ، وأبوه هو الشيخ يحيى من أهل خمسين ، وقد عهد الى الابن خمسة وستين وخمس مائة بالولاية على طبيره وشنتمرية والعليا ، انظر ورقة 146 من المن بالإمامة .

(5) هو ابو عبد الله محمد بن أبي يعقوب يوسف بن واتودين من أهل هنتاته البيذق : أخبار المهدي 33 - 34 - 35

فرعت فيه إلى عمي عبد الحق وتميم ابني والودين أن لا يريدا في الشهادة عليه ، فقالا لي : والله لئن لم تترك يدك عنه لنقتلنّك ، فسكتّ فلما كان في ظهر ذلك اليوم قبض على عبد السلام وسجن لي موضع مخبسه ووصل السادات رأيهم والموحدون فيه

قال الراوية : فلما أقلع أمير المؤمنين من تلمسان تلطف لعبد السلام المذكور في السراح فكأنّ أمير المؤمنين رضي الله عنه أنعطف لهُ وعُلم بذلك فخُوطب مَن في تلمسان ممن يختص بالأمر أن يُتحيل في ميتة عبد السلام فاجتمع الرجل الذي وصل إليه الأمر بالسجان وصنع له السجان ثُردة في فروج جعل فيها سُماً ، ورغب لعبد السلام أن يأكلها وخدعه بأن قال له : قد وصل الأمر بسراحك ورغبتي منك أن تجازيني على حسن تلطُّفي بك . فقدم له الطعام والثردة فأكلها وتشعر في الحين بالسم فيها فرمى باللقمة التي كانت في يده في وجه السجان وقال : جد ثردتك أهلكك الله ! ومات من ليلته وحدثني أبو العيش الكومي[1] أحد أشياخ كومية قال لي : كان [45] الخديم الذي يعجن له الخبز الذي يأكل كلّ يوم عبد السلام يجعل له فيه مقداراً من المحمودة[2] فيسهل في كل يوم لحمه وينسل عظمه حتى لم يبق فيه إلا عيناه .

(1) من ذهب الى إشبيلية في حاشية أبي عبد الله بن الشيخ أبي إبراهيم لما عين والياً عليها سنة إحدى وستين وخمسمائة . أنظر ص 147 من المن بالإمامة
راجع كتاب الطبخ في المغرب والأندلس نشر ويتي في صحيفة معهد الدراسات الإسلامية المجلد 9 و10 سنة 61 1962 انظر هناك أنواع الثرده التي كانت أنداك خاصة ص 115 116 .
(2) المحمودة : نوع من النوع ... له نفس المفعول الذي للسقمونيا ، من خصائصه كثرة الاسهال ، وقد ذكرت بعض المصادر أنه صمغ الفربيون ، كما جعلته بعض القواميس مرادفاً لاسم تاكوت ، وقد اعتقد الانتقام في القديم بطريق الاسهال كما يحدث التاريخ . وقد ورد ذكر (المحمودة) في كتب الصيدلة والطب كما ورد ذكرها في كتب الحسبة ، وقد ذكروا أن أفضل أنواع المحمودة هو ما يرد من أنطاكية (Sacammonee d'Antioche) دوزي مادة (المحمودة) محمد النجاري بك : قاموس عربي - فرنسي مادة سقمونيا . الوزير الغساني : حديقة الأزهار في ماهية العشب والعقار - مخطوط بالخزانة العامة تحت رقم 35 ج ص 13
Renaud : Trois études de la médecine arabe en occident . Hes 1931 T X II Fas 2 P 219

وكان السبب الذي كثر إدلال عبد السلام به على الأمر أن كان والد أمير المؤمنين قد زوج أيام السّيرات والدة عبد السلام فولدت له ابنة تسمى سدة[1] فكان يرى لنفسه حقاً ولم يعلم أن الملك عقيم وأن مسراته هموم ، ومرعفاته كلوم ، وكانت تلك الاخت (سدة) قد زوجها أمير المؤمنين رضي الله عنه من الشيخ الموحدي أبي حفص فلم تحسن عشرته فطلقها برأي أمير المؤمنين حين أساءت الزوجية معه وهجر أمير المؤمنين سدة وعوضه خيراً منها . وأعقب عبد السلام من البنين . . .[2] .

رجع الخبر الى تبيين ما قدّمته من حرب قرمونة حتى فتحها الله .

ذكر انصراف السّيّد الأعلى أبي يعقوب رضي الله عنه من جبل طارق إلى إشبيلية وانصراف السّيّد الأسنى أبي سعيد إلى غرناطة بعد إجازة أمير المؤمنين رضي الله عنه البحر منصرفاً إلى حضرة مراكش على ما ذكرته .

[46] ولما انصرف السيد الأعلى أبو يعقوب إلى إشبيلية من مُوادعة أبيه رضي الله عنهما ، وذلك في أوائل عام ستة وخمسين الموافق لشهر[3] فبراير العجمي رتب المقانب والسّرايا على حرب الأشقياء الشرقيين الكافرين أهل قرمونة يغادونهم ويراوحونهم بساحتها فلاذ الأشقياء المرتدون فيها بالجدران والأسوار ، واحتجبوا بحيطانهم راضين بحالة الضيم والحصار ، ظانين بأنهم مانعتهم حصانتها وأنى لهم هذا الامتناع من أمر الله الغالب القهار ، فعم

(1) كتب في السبق بالفاء بدل الباء : فدة . انظر صفحة 24 و ص 44 من البيان المغرب لابن عذارى
(2) بيّض الناسخ في الطره إلى أن دعنا بياضاً ، وقد عرفنا من بنيه محمد الذي ظهر في وساطة بين والي المهدية وبين الشيخ أبي سعيد بن أبي حفص
التجاني : الرحلة ص 350
(3) أوائل عام ستة وخمسين وخمسمائة يوافق يناير العجمي 1161
أنظر جداول الدكتور كاطنور (Cattenoz)

جهتهم الحصار ، وظلوا من ضيقة الإمار ، بحال من لا يسرح له بالصبح مال ولا توقد له بالليل نار ، وسنّى الله تعالى ببركة الأمر العزيز أدامه الله أن مكن الله الغزاة الموحدين من الغادر الشقي الكافر عبد الله بن شراحيل الذي غدَرَ مدينة قرمونة[1] ومكّن منها بدلسه محمد بن همشك ، وسيق أسيراً مكتوفاً الى السيد الأعلى أبي يعقوب بإشبيلية فغزاه وعزا أصحابه وأتباعه وأشياعه المنافقين .

وفي أثناء هذا الغزو وصل الشيخ المرحوم الفاضل أبو يعقوب يوسف بن سليمان[2] بعسكر ضخم إلى إشبيلية من الموحدين أنجدهم الله وأعانهم من تجهيز سيدنا الخليفة أمير المؤمنين رضي الله عنه عند وصوله إلى مراكش من انصرافه المذكور [47] فاتصلت آمالُ الناس ببلاد الموحدين عند وصولهم وحلت المسرات بحلولهم وأدخل الشيخ بهم الميرة والأقوات والآلات إلى قرطبة ، وحييت وقويت وأقام بإشبيلية الى أن ظهر النصر على الأعداء ، واستمر الظفر بالأشقياء وتحصلت صيقة أصل إشبيلية عند أهلها ورعيتها على أوفى الأمن في الجهات والأرجاء . وكان إنصراف الشيخ المرحوم المذكور معلماً الحضرة العلية بجهاده واجتهاده . ثم أن السيد الأعلى أبا يعقوب رضي الله عنه مشى عن إشبيلية إلى زيارة أبيه الخليفة أمير المؤمنين رضي الله عنه حين اتّدع بحضرة مراكش على ما ذكرته ناظراً في غزوة الروم الذي أضمره في نفسه من الاحتفال في ترتيب العساكر للغزو العظيم واستخلف السيد الأعلى أبو يعقوب رضي الله عنه بإشبيلية لحرب قرمونة الشيخ الحافظ الشهيد أبا محمد عبد الله بن أبي حفص بن علي[3] ، ومنازلة الأشقياء الذين بها من رجل محرب ، فارس مقدام في الحروب محرب ، حافظ فاصل درب بالفتنة سايس

(1) انظر التعليق رقم 3 ص 145 من الملن بالإمامة

(2) يُعد أبو يعقوب هذا من أهل حسين ، وهو من تينملل كان زعيماً للموحدين وخالصة أمير المؤمنين السنن ـ أخبار المهدي ص 33 - 34 - 35

(3) من شيوخ الموحدين المبرزين وقد استشهد في موقعة مرج الرقاد انظر التعليق رقم 3 صفحة 93

ذي ناب في الفتن ومخلب ، خطيب باللسان الغربي المعرب ، فتجهّز بذلك الجيش الى حرب قرمونة المذكورة ، وسكن قلعة جابر[1] على بُعد أميال منها يغاديها ويراوحها بالغزو كل يوم ، ويسري بالغارات نحوها طول ليلها حتى يصبح صباح [48] القوم ، فخامر الرُّوع لابن همشك في مدينة جيان وفي بلاده ، ولم يغثها ولا أمدّها بعون من استمداده ، وأسلمها وأفردها من نظره عند عجزه الذي عجّزه الله بنيته وفساده . فسار أبو محمد عبد الله بن أبي حفص المذكور من قلعة (جابر) ونزل عليها لصق سورها بالموضع المعروف بحصن ابن سلام[2] بعسكره المؤيد ، وفي صحبته الشيخ أبو العلاء بن عزون نصيح الأمر العزيز ، ومعه أصحابه الجند الأندلسيون المرسومون في زِمَام الأمر الكريم حتى ضاق حال مَن في داخلها من الرعية والشرذمة بالحصار ، ويئسوا من أصحابهم الأشقياء من الغوث والانتصار ، فقيض الله رجلاً من أهل قرمونة اسمه « شراحيل »[3] ، ليس من أهل قرمونة ، وليس من الغادر الكافر المسمى أولاً ، المذكور الذي غدرها ، المعروف بعبد الله بن شراحيل في حسب ولا نسب إلا اسم اتفق فيهما ، فداخل الموحدين ـ أعزهم الله ـ بالليل سراً في محلتهم وطلب منهم الأمان في نفسه ورعية بلده والإحسان له إن هو أدخلهم المدينة ويسّر الله له الأمنية الثمينة ، فأنعموا له فيما طلب ورغب فاجتمع بأصحابه وارتبطوا له لما ارتبط ، وضمن لهم الأمان والشرط الذي شرط ، وأدخلوا الموحدين ـ أعزهم الله ـ المدينة من البرج المعروف « بقرن

(1) قلعة جابر (Alcalá de Guadaira) تقع جنوب قرمونة على مقربة منها ولا تبعد كذلك عن إشبيلية ، وإليها ينسب الشاعر عامر بن جدوش القلعي القائل :

ألا يا سقى الرُّحمان قلعة جابر فكم لي فيها من ليَالٍ زواهرا

ابن عذاري 171 : ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب أول ص 291

Huici : Historia P . 245 - 253

(2) (حصن ابن سلام) لم نقف على معالم هذا الحصن في « الأندلسيات » التي بين أيدينا وإن كنا نعلم أنه كان على مقربة من قرمونة

(3) لم نقف على ما يميز شراحيل هذا في الأخبار المتعلقة بقرمونة في المصادر التاريخية

المعرة »[1] كما فعل أولاً بالغدر من ذلك الموضع

[49] وفتحوا باب المدينة للموحدين ، وتملكوها في الحين ، وانحصر الشقي القائد الشرقي ابن أبي جعفر[2] بالقصبة مع أصحابه ثم نزل على الحكم فيه وفتحها الله ضحوة يوم الجمعة العاشر من شهر المحرم وبموافقة اليوم[3] السادس والعشرين من ينير العجمي من عام سبعة وخمسين وخمس مائة ، وكان غدرها على ما تقدم في التاريخ به[4] ضحوة يوم الجمعة أيضاً الخامس عشر من ربيع الأول ، وبموافقة اليوم[5] الثاني والعشرين من مارس العجمي عام خمسة وخمسين وخمس مائة على ما ذكرته في التاريخ[6] . وتقبض يوم فتحها على القائد الشرقي ابن أبي جعفر وسير مكبولاً في الحديد الى سجن إشبيلية وبقي إلى أن نفذ الأمر المطاع أدامه الله من الحضرة العلية بصلبه فصلب في الرملة[7] تحت قصر ابن عباد من إشبيلية وارتفعت فتنة قرمونة على ما ذكرتها في التاريخ .

ولما دخل الشيخ الشهيد أبو محمد بن أبي حفص بن علي قرمونة غسل جامعها بالماء من ...... [8] ولقد مشيت[9] اليه فيها وهنّيته على الفتح وهو

(1) قرن المعرة برج بقرمونة ولم نقف على ذكر له في آثار غرناطة .
(2) ابن أبي جعفر : قائد حامية قرمونة وقد كان مصيره الأسر ثم القتل والصلب تحت قصر ابن عباد ولعل له صلة بابن أبي جعفر الذي ثار بمرسية وقتل سنة 540
الحلة السيراء ص 208 - 209 - 218
(3) الموافق لليوم العاشر من المحرم من عام 557 هو 30 دجنبر 1161 لا 26 من يناير .
(4) راجع ص 20
(5) الموافق كما تقدم ـ حسب جداول الدكتور كاطبور 25 مارس 1160 .
(6) انظر ص 20 .
(7) الرملة (Rambla) يظهر أنه ميدان تحت قصر ابن عباد . محمد الفاسي : الاعلام الجغرافية الأندلسية (البينة) يوليوز 62 ص 57 .
(8) هنا بياض في أصل المخطوط ثم إن هذا المسجد هو ـ بدون شك ـ الجامع الذي ورد وصفه عند الحميري صاحب الروض المعطار والذي يحتوي على سبع بلاطات تقوم على أعمدة رخام وقواعد من صخر . الحميري ص 159 .
(9) لأول مرة يظهر ابن صاحب الصلاة بالأندلس بقرمونة ، ويظهر انه كان في ركب المجاهدين

في الجامع يغسله وهو جالس مستندٌ الى الحائط الشرقي من جامع قرمونة والرجال يغسلون الجامع بمرأى منه ، وأقام فيها حتى أصلحها وأمنها وانصرف إلى إشبيلية ، وأعلم في خبر فتحها حضرة الخليفة [50] بما فتح الله له فشكر وحمد لكن الأيام عدت عليه إثر ذلك حسب ما أذكره من استشهاده[1] رحمه الله .

الخبر[2] عن غدر إبراهيم بن همشك مدينة غرناطة بمداخلة الغوي ابن دهري[3] مع اليهود الإسلاميين الساكنين بها الذين أسلموا على كره وما حدث عليها من الوقائع

قد تقدم التاريخ في قبيح نكاية إبراهيم بن همشك لمدينة قرطبة باصطلامه وصلمه في كل صيفة زروعها ، وتعفيته جناتها وربوعها ، مدة الأعوام التي غاب فيها سيدنا أمير المؤمنين رضي الله عنه إلى غزوته مدينة المهدية وفتحها وفتح أفريقية ، وأنه استولى بغدره وشرذمته على مدينة قرمونة ، ولم يبق من البلاد المجاورة لإشبيلية إلا قليل نبّه الله نفوس أهلها

(1) كان ذلك بوقعة (مرج الرقاد) انظر صفحة 154 من (المن بالإمامة) راجع التعليق رقم 3 صفحة 93 .
(2) عني المستشرق الهولاندي الشهير دوزي بترجمة هذه القطعة من كتاب المن بالإمامة التي تبتدىء من هذه الصفحة 50 الى صفحة 62 ولكنه ـ وقد أزعجه أسلوب ابن صاحب الصلاة ـ اكتفى بترجمة المقصود ، وقد كانت مناسبة للحديث عن « الضغط » الذي استهدف له ـ في نظره ـ بعض الأسبانيين وخاصة اليهود منهم الأمر الذي جعلهم يتظاهرون بالإسلام بالرغم من أنهم ليسوا كذلك .. ولم يفته أن يتحامل على ابن صاحب الصلاة الذي يعتبر في نظره مسرفاً مغالياً ومغرضاً متعصباً .

Dozy : (Recherches) sur ce qui passa a Grenade en H 62 page 364 - 372

(3) كان ابن دهري صهراً لابن زيد مشرف غرناطة ، وقد استطاع أن يجمع حوله طائفة من اليهود المتظاهرين بالإسلام ، وعليه اعتمد ابن همشك في التآمر على غرناطة ، وإذا ما اعتبرنا ما ورد في بعض المصادر فإن المسيحيين أسهموا بدورهم في محاولة الأحبار على ظهور الموحدين . المصدر السابق ص 361 .

مالتوحيد ، والإقامة بالطاعة على الأمر السعيد ، فلما كان البشر الميمون ماياب سيدنا رضي الله عنه وعبوره البحر الى جبل طارق ، ثم انصرف الى حضرة مراكش على ما ذكرته[1] ، لازمت العساكر من الموحدين أعانهم الله حصار قرمونة على ما شرحته[2] ، حتى فتحها الله تعالى فأسف عليها إبراهيم بن همشك وهو بمدينة جيان ، فاضطرمت الفتنة في قلبه ، وعزمت [51] طويته المنافقة أن يغدر مدينة غرناطة إذْ هي على قربه . وداخل من فيها من اليهود الإسلاميين مع حليفهم المعروف بابن دهري الفاسق المنافق الذي كان صهر[3] ابن زيد مشرفها[4] قبل ، وكان السيد الأسني أبو سعيد بن الخليفة رضي الله عنهما قد غاب عن غرناطة للزيارة ، فمشى هذا الفاسق ابن دهري سرّاً من ابن همشك في ليلة معينة يصلهم فيها الى باب الربض[5] بغرناطة ، ويكسرون قفل الباب ويدخلونه فوصلهم في ليلة . . . . . من شهر . . . .[6] من سنة وخمسين وخمس مائة ، واتفق من سعد هذا الأمر العزيز وأهله أن كانت القصبة[7] من غرناطة محصنة بالرجال ، محلوة بالأقوات والآلات واتحاد

(1) انظر صفحة 39 من ابن صاحب الصلاة

(2) انظر صفحة 46 من المؤلف

(3) هكذا في أصل المخطوط وهو الصواب، وقد حرفت الكلمة عند دوكاياتكوس (De Cayangos) فصارت هكذا صخر بن زيد Dozy Recherches page 380 - 381

(4) المُشرِف بالاسبانية (Almojarife) كان هو الذي يتوصل بكل الواجبات والحقوق اللازمة عند الإيراد والإصدار للسلع فهو بمثابة المفتش العام للديوانة ، ومن الممكن ان يكون ابن زيد هذا كانت له هذه الوظيفة على عهد المرابطين ، فإن وزيراً للمالية في أيام تاشفين الصغير كان يحمل اسم أبي محمد الحسين بن زيد Dozy Page 381

(5) باب الربض : أحد أبواب غرناطة ويقصد دون شك ربض البيازين حيث كانت تقوم سوق البزاة (Albaicin) الذي يقع في شمال المدينة في العدوة العربية منها

Dozy 382 Huici p 201 - 200

(6) هكذا بياض ، ولعل المؤلف كان ينوي أن يتأكد من اليوم والشهر ليملأ الفراغ الذي تركه ، لكنه لم يتمكن من ذلك ، وقد نقل ابن الخطيب أن ذلك كان في شهر جمادي الأولى لكنه ذكر سنة ستة وخمسين وخمسمائة الأحاطة ص 309

(7) القصبة يعني بها القصبة القديمة التي توجد في العدوة العربية جنوب ربض البيازين

A Gallego Burin Grenade 1954 P 124 Huici P 201 - 200

الموحدين الأبطال ، فوصل الغادر ابن همشك على ما تووعد معه ، وقد أجمع الكفر مجمعه ، وكسروا القفل والباب ، وتنادوا بالصياح بالأصحاب ، فلما تسامع الناس بالمدينة الصياح والكفاح ، بادر من كان له ولاء ، واعتقاد في الدين واحتماء بالفرار بأنفسهم إلى القصبة ، والمعاونة والمعاضدة الى أخوانهم الموحدين الحَبِبَة فلما أصبح الله بالصباح من تلك الليلة المرؤودة وقد تملك ابن همشك المدينة ، خاطب المنافقُ أميرَه ابن مردنيش بمرسية يعلمه بما اتفق له ، وأطمعه أنه إذا وصل بشرذمته وعسكريته ينزل بالطوع من [52] في القصبة من الموحدين قبله . فاحتشد ابن مردنيش مَن في بلاده ، من جميع أجناده ، واستدعى النصارى[1] أصحابه ووصلوا اليه وخرج في جمعه الذميم ، طامعاً فيما ضمن له الغادر ابن همشك من شيطانه الرجيم ، واحتل ابن همشك يوم دخوله غرناطة بالقصبة الحمراء[2] التي في جبل السُبِكة[3]

(1) كان القواد المسيحيون الذين أسهموا في هذه الموقعة ثلاثة الأول :

ألفار رُوذْ ريكيث (Alvar Rodriguez) الذي عُرف في المصادر الإسلامية تحت لقب الأقرع ، والثاني أيرمانكو السابع Ermengaud VII الذي سماه ابن صاحب الصلاة القمط أوجال Urgel والثالث هو أخ أيرمانكو السابع المسمى كوسيران دوصال Caucerand de Sales وسيقف على تاريخ مصرع « الأقرع » أما هذان الأخوان فقد توفيا معاً في سنة 579 (1083) .

(2) « الحمراء » تقع في العدوة الشرقية من غرناطة يفصلها عن القصبة القديمة نهر (حداره) ولا نتوفر حول التاريخ القديم للحمراء على معلومات كثيرة ، وكل ما نعرف عنها انه وود ذكرها أول ما ذكر عند الكلام على وقعة سنة 277 في عهد عبد الله الأموي ، وقد يكون بناؤها تم بعيد بناء القصبة القديمة ، وبها كان قصر ابن باديس لكن تاريخها ازداد وضوحاً بظهور بني نصر عام 689 هذا ويظهر أن القصبة القديمة لم تكن لتحتمل الجيش المتحدث عنه ، ولذلك فإن الاستعانة برواية ابن الأثير مما يوضح المقام فلقد ذكر ان القلعة كانت تحتوى فقط أنصار ابن همشك من الأندلس ، أما المسيحيون - وعددهم ألفان - فقد كانوا يعسكرون بظاهر القلعة الحمرا

انظر آخر بيت في قصيدة ص 153 .

ابن الأثير : الكامل في التاريخ المجلد التاسع طبعة القاهرة 1348 ص 78 .

Dozy Recherches page 385,

A Schaade Alhambra Encyclopédie de L Islam Tome I page 280 - 281

A Gallego Burin Grenade 1859 page 26

(3) كذا رسم بدون ياء بعد الباء لكن الياء تثبت في كثير من المصادر الأخرى وقد ورد ذكر السبيكة في=

الموازنة لقصبة غرناطة(1) غرناطة وشرع منها في القتال ، وإقامة المنجنيقات لرمي الحجارة على الموحدين في قصبتهم بأعظم الاحتفال ، وعذب من حصل في يده من الموحدين وعبث فيهم ورماهم في كفة المنجنيق ، واستخف بالخالق في عيثه بالمخلوق ، وهزأ بجهله بكل فريق ، وأمد الله تعالى الموحدين بالقصبة ، وأعانهم وثبتهم بمعونته ونُصرته وكانت عندهم الأقوات والألات فعدوها مع هون الله عدتهم ، وقطعوا الساباط(2) المتصلة بينهم وبين القصبة الحمراء حذراً من قتال الأعداء فيه اليهم واستغاثوا بأمير المؤمنين رضي الله عنه ، وبالموحدين الذين بإشبيلية : أبي محمد عبد الله بن أبي حفص بن علي الشهيد ، وشاعت الأخبار ، وسرى الرقاصون بالاستغاثة الليل والنهار .

* هذة أشعار فقد قال أبو الحجاج من شعر يحنّ فيه لغرناطة :

وأعلامُ نجْدٍ والسبيكة قد علت ... وللشفق الأعلى تلوح شُرُوق

وقال أبو إسحاق النمري وقد اشتاق الى السبيكة :

لما نزلت من السبيكة صادقٍ ... طبيٌ وددت لديه ان لم أنزل
فاعجبْ لظبيٍ صاد ليثاً لم يكن ... من قبلها متخبّطاً في أحبل

هذا وقد نقلت بعض المصادر الإسلامية أن نزول ابن مردنيش كان على الأكمة التي تحمل اسم « كدية مردنيش » ونقل عن الاستاذ ايكيلاز Eculaz أن المكان يسمى في بعض الوثائق بكدية ابن سعد ، ويقتصر ابن الأثير على القول بأن ابن مردنيش استقر خارج غرناطة في موضع الشريعة ، ومما أثر عن المصادر المسيحية بعض الأهازيج الشعبية الأسبانية التي تتعلق بهذه الموقعة وتذكر « القصبة » و « الشريعة » .

ابن الأثير : الكامل ، مجلد تاسع صفحة 79 .

ابن الخطيب : الأحاطة ، نشر عبد الله عنان ص 123 - 358 .

Dozy : Recherches, page 381 - 382 - 384 - 385 .

(1) يعني بها القصبة القديمة التي تقدم ذكرها والتي تقع في العدوة الغربية من غرناطة .

(2) الساباط هو - على ما يفهم ايكيلاز - Eguilaz الذي يحمل اسم « قنطرة القاضي » التي كانت تجمع بين القصبتين الحمراء ، والقديمة ، وقد ذكر في التاريخ أن قنطرة القاضي هذه شيدت حوالي سنة 447 هـ (1055 - 1056) وأن القاضي الذي تنسب اليه هو علي بن توبة الذي ولي القضاء لباديس بن حبوس ، والذي على يديه كذلك عُمل منبر جامعها . وقد اندثرت معالم هذه

ذكر حركة أمير المؤمنين

وكان أمير المؤمنين رضي الله عنه قد تحرك من حضرة مراكش [53] على عادته وطيب نيته للغزو - رضي الله عنه - وجعل الجنّة مأواه في عام سبعة وخمسين المذكور وعساكره المؤيدة تابعة له فوصله الخبر بغدر غرناطة وهو بوادي كساس(1) على مرحلتين من مدينة رباط الفتح بسلا فأقلقه ذلك ، وتأثر لما هنالك ، فلما وصل رباط الفتح بسلا المذكورة تقدم السيد أبو سعيد بمن كان معه من أصحاب الخاصين به مسرعاً بالسير ليلاً ونهاراً إلى الأندلس لعله يدخل قصبة غرناطة ويفر ابنُ همشك عن القصبة الحمراء من المدينة بدخوله ، والسيد قد قرر عنده أن ابن همشك إنما هو في حملته الذميمة المشهورة له وإذا ابن مردنيش قد وجه لابن همشك المذكور عسكراً ذميماً من النصارى عليهم العلج الذميم الأقرع حفيد البرهانس(2) لعنهما الله ، في ألفي فارس

* القنطرة الأن ، وأكد البحث خطأ الذين ظنوها الأثر الذي يوجد على مقربة من الحمام العربي هناك .

Provençal : Hes : T X page 121 - 122 .

Ambrosio Huici Miranda : Historia Politica : Page 200 - 201 .

(1) وادي كساس : لم يصف دوزي ولا كذلك وبني شيئاً على ذكر الوادي Wadi : Kesas Rio (Kassas) وقد ورد ذكره هكذا في ابن عذاري (كسس) كمكان يوجد في منتصف الطريق بين الرباط ومراكش كما ورد ذكره في التشوف كذلك ، وهو كما ترى على بعد مرحلتين من الرباط ، فبالمقارنة مع المراحل التي ذكرها الأدريسي وابن صاحب الصلاة نجد أن رأس المرحلتين من الرباط هو لجيسل (Guisser) فيكون هذا الوادي هو « وادي النويي » بالشاوية جنوب مدينة سطات .

الأدريسي ، نزهة المشتاق ص 70 المن بالإمامة ص 304 ابن عذاري ص 8 التشوف ص 274 .

Dozy : P. 374

Les Guides Bleus (Marco) 1925 : Carte : Page 112 - 113 page 120 : Huici P. 248 C. 4

(2) هو Alvar Rodriguez حفيد ألفار فانيز Alvar Fanez ، هذا الذي لم تتحدث عنه المصادر المسيحية إلا مرة واحدة فيما نذكر ، وذلك سنة 542 (1147) في تاريخ ألفونس السابع ، وقد

ورحاله كثيرة . فلما وصل أبو سعيد الى قصر مصمودة[1] وأجاز البحر الزقاق ووصل مالقة[2] استدعى من موضعه الشيخ الحافظ الشهيد أبا محمد عبد الله بن أبي حفص بن الوالي على إشبيلية أن يصله بعسكر إشبيلية وأنظارها أسرع ما يمكنه واستعجله في ذلك بحسب ما ظنه من حال عدوه ، فنهض أبو محمد عبد الله المذكور والتقى بالسيد أبي سعيد ، وتجمعوا بجميعهم وصَمَدُوا الى غرناطة والنصارى أهلكهم الله قد وصلوا قبل ذلك على ما ذكرته فتقدم السيد [54] بالموحدين والجُنْد الأندلسيين حتى وصل فحص أغرناطة[3] حيث السواقي الجارية بالماء لسقي أرضها في الموضع المعروف

= كانت له مواقف أباد فيها بحياة كثير من الناس لذلك فإن اسمه قد رسخ ولا يعرف أباؤه وجدته إلا به . وهو معروف في المصادر الإسلامية بأقرع بل ان القرطاس لم يدعه إلا بلقبه هذا .

ابن أبي زرع : القرطاس ، طبعة سلا . ص 155 جزء ثاني

Huici : P. 200

(1) قصر مصمودة هو قصر المجاز لا يبعد عن طنجة ، تقابله جزيرة طريف من الأندلس ، أسسه أمير مصمودة أيام ولاية طارق بن زياد الليثي بطنجة ، ومنه كان جوازه لحمل طارق عام تسعين ، ومنه غالباً كان يتم عبور الجيش الى الأندلس ، وهو المسمى بالقصر الصغير . دوكا ستري . فرنسا السلسلة الأولى . المجلد الأول . 174 تعليق3

الادريسي : نزهة المشتاق طبع ليدن ص 166 . المراكشي : (المعجب) ص 353-367

بوجندار . مقدمة الفتح من تاريخ رباط الفتح 1345 هجرية ص 22 . أحمد المكناسي خريطة المغرب الأركيولوجية طبع تطوان 1961 ص 20 .

Huici : Page 224 - 225

(2) مالقة . مدينة على شاطىء البحر جنوب غرناطة . وفيها استدار بها من جميع جهاتها شجرُ التين المنسوب إليها وقد كان تينها يحمل الى مصر والشام والعراق وربما وصل الى الهند وهي من تأسيس الأول وجامعها بالمدينة من خمس بلاطات ، وقد كان لها خمسة أبواب . باباب إلى البحر ... ومما أنشده الفاضلي بن حوط الله فيها :

مالقة حييت يا تينها ! الفُلك من أجلك يا تينها
نهى طبيبي عنك في علّتي ما لطبيبي عن حياتي نهى

الحميري : الروض المعطار ص 177 - 178 - 179

(3) فحص غرناطة (Vega de Granada) يقصد به السهل الأخضر الذي تشرف عليه غرناطة . الأحاطة ص 105 . Dozy : 375

بمرج الرقاد[1] على نحو أربعة أميال من أغرناطة المذكورة فخرج إليهم إبراهيم بن همشك بالنصارى وأصحابه ودارت الحرب بينهم في الموضع المذكور ، وظهر عدد النصارى، وراع الناس مددهم وعددهم بظهور الكمين عليهم فانهزم الناس بالموضع المذكور وولوا فارين وقطعت بهم عند فرارهم تلك السواقي فسقطوا فيها بخيلهم، وكانت من أقوى أسباب الانهزام وقتل واستشهد ذلك اليوم الشيخ أبو محمد عبد الله بن أبي حفص بن علي المذكور وتخلص السيد أبو سعيد ووصل مدينة مالقة ، واستشهد في ذلك اليوم العصيب كثير من الموحدين رحمهم الله ، ومن الأندلسيين ، وكان هذا الرزء عظيماً ، وخطباً جسيماً ، وثبت الله الموحدين المحصورين في قصبة أغرناطة وفي ضبطها إذ كان هذا الخطب بمرأى منهم من القصبة لأحوائهم بإطلالها على الفحص المذكور وانصرف ابن همشك من هذه الوقيعة مع أصحابه النصارى الى القصبة الحمراء بأغرناطة وأسرى الموحدين بين يديه يقتلهم ويعبث فيهم على مرأى من أخوانهم حسب ما قد ذكرته في تاريخ المريدين[2] قبل .

(1) كان هذا الاسم يطلق على موضع بظاهر غرناطة على بعد بضعة كيلومترات من قرية الطرف (Atarfe) في سفح جبل البيرة (Sierra de Elvira) على مقربة من نهر شنيل ، ومقابلها الحديث هو (Majorrocal) أو (Merrojal) . البندق 126 . الحلة السيراء 230 . الإحاطة في أخبار غرناطة ص 309 نشر عبد الله عنان تعليق رقم 5 . أعمال الأعلام ص 261 .

Huici 201 نقلاً عن دي لوثينا Seco de Lucena . Notas Sobre (Al Andalus)

Topnimia Arabigo Granadina 1944 . P. 201

(2) صريح كما ترى في ان لابن صاحب الصلاة كتاباً متقدماً أسماه (تاريخ المريدين) وعندما كان دوزي يترجم هذه القطعة من الكتاب لم يكن قد وقف بعد على ما أوردته الحلة السيراء حول كتاب تاريخ المريدين ، هذا الكتاب الذي نشره كما هو معلوم ، ولذلك فقد اكتفى بالإحالة على كتابه

(Suppl . aux dict . ar) Recherches page 376